

حال السلف في الشتاء

فضيلة الشيخ مشهور بن حسن آل سلمان

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنُسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ وَأَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا مِنْ يَهْدِيهِ اللَّهُ فَلَا مَضِلَّ لَهُ وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أما بعد :

فقد قال الله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا)، (سورة الفرقان ٦٢)، فخلق الله الزمان والإنسان من أجل عبادته، سواء كان إنساناً أم جنّاً، قال الله تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ).

(سورة الذاريات ٥٦).

والبركة والرحمة والخير في الوقت الذي تكون فيه مع الله عز وجل، والذي يمضي وكأنك راكبٌ له، فالذي يكون في عبادة وانسراح صدر وإخبات قلب، وصدق مناجاة وتواطئ القلب مع اللسان في التدبر والفهم، فهو الذي يعيش في جنات معروشات وغير معروشات في هذه الحياه الدنيا، وحاله في البرزخ ويوم القيامة على حسب حاله هذا.

فإذا أردت أن تعرف حالك في القبر فأنظر الى قلبك في الصدر، فإذا كان قلبك في نعيم، وفي سرور وحبور، وفي مناجاة دائمة لله عز وجل فأعلم أنك تعيش في نعيم، كان يقول بعض الصالحين: " لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم لجالدونا عليها بالسيوف". هذه النعمة الحقيقية.

الليل يخلف النهار، والنهار يخلف الليل، والصيف يخلف الشتاء، والشتاء يخلف الصيف، قال تعالى: (لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكُرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا)، سورة الفرقان (٦٢) ، أراد أن يذكر فيتعلم، أو أراد شكورا فيكون عابداً لله عز وجل .

ولذا ثبت في صحيح مسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقوم الليل ويُطيل القيام حتى تنفطر قدماه .

الحديث: عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ ، عَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ : كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، إِذَا صَلَّى قَامَ حَتَّى تَفْطُرَ رِجْلَاهُ ، قَالَتْ عَائِشَةُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتَصْنَعُ هَذَا ، وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ، فَقَالَ : يَا عَائِشَةُ أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا .

(صحيح مسلم، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة، حديث رقم ٥١٧٥).

لمن أراد شكوراً بالعمل والعبادة والطاعة والإقبال والفرار إلى الله عز وجل، قال تعالى: (فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ) . (سورة الذاريات ٥٠).

لمن أراد ان يذكر: أن يتعلم ؛ يتعلم كتاب الله، ويتعلم شرع الله عز وجل، الشرع الذي أنزله على قلب رسوله صلى الله عليه وسلم، أو أراد شكوراً .

ولذا الناظر لتفسير قول الله عز وجل عن السلف (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) ، (سورة الطور ٥٦)، فمنهم من قال: إلا ليعرفون، وهذا تذكر .

أو العبادة المعلومة وهي: الاسم الجامع للأفعال والأقوال الظاهرة والباطنة التي يحبها الله تعالى ويرضاها، وهذا لمن أراد شكوراً.

فإلا ليعبدون يشمل الأمرين.

وهذا الكلام كلام نظري، وهذا الكلام النظري أصبح واقعاً عملياً من قبل سيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم، فالله جلّ في علاه خلق النبي محمد صلى الله عليه الصلاة والسلام بسجيّة واستعداد لا يمكن لأحد أن يصل إليه، فالذي كان يقود النبي صلى الله عليه وسلم للطاعة المحبة؛ ومن قادته المحبة لطاعة الله تعالى فإنه لا ينقطع ولا يفتر .

وكثير من الخلق تقودهم الحسنة والسيئة والطمع بالجنة والخوف من النار ، وهذا الصنف الذي يعمل من أجل ثواب أو درء عذاب يتعب ويفتر، وهذا هو سر قوال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم: (فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ)؛ (سورة الشرح ٧) ، أي فإذا فرغت فاتعب.

العادة الإنسان يسمع السيد يقول لمن يعمل عنده إذا فرغت فارتاح ، الله يقول لنبيه فإذا فرغت فانصب.

لماذا؟

لأنّ النبي صلى الله عليه أعرف الناس بالله جل في علاه، وخلق الله تعالى على استعدادٍ شديدٍ لمناجاته.

ولذا أراد العباس أن يتعلم ولده عبد الله من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً، فكان يَتَحَيَّنْ نوبة ميمونه خالة عبد الله ابن عباس من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعث إليه بهدية في وقت متأخر من الليل، وقال: إن أدركك الليل فَبِتْ عندهم، قال فَبِتْ عند النبي صلى الله عليه وسلم، قال: فلما دخل النبي على بيت ميمونة وكانت خالته (خالة ابن عباس) فنام عندها فقال: فأمر بأن تُهَيَّءَ الوضوء ثم نام النبي صلى الله عليه وسلم ثم استيقظ ثم صَلَّى.

صَلَّى وما أدراك ما صَلَّى؟

وأنا أقول لإخواني وأحبائي الحمد لله الذي لم ندرك صلاة وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأننا لا نقدر عليها، ولعل بعضنا يخرج من الملة، إن صَلَّى صلاةً واحدةً خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم، نسأل الله العفو والعافية.

فالشاهد أنَّ النبي صَلَّى الله عليه وسلَّم كان في كل أحواله مع ربه وكانت صلاته طويلة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي أربعاً فلا تسأل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثاً)، أخرجه البخاري في كتاب الجمعة، باب قيام النبي بالليل برقم ١٠٧٩، ومسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب صلاة الليل برقم ١٢١٩.

وكان يطيل في صلاته صلى الله عليه وسلم، عن حذيفة -رضي الله عنه- قال: صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت يركع عند المائة ثم مضى فقلت يصلي بها في ركعة فمضى فقلت يركع بها ثم افتتح النساء فقرأها ثم افتتح آل عمران فقرأها يقرأ مترسلاً إذا مر بآية فيها تسبيح سبح وإذا مر بسؤال سأل وإذا مر بتعوذ تعوذ ثم ركع فجعل يقول

سبحان ربي العظيم فكان ركوعه نحوا من قيامه ثم قال سمع الله لمن حمده ثم قام طويلاً قريباً مما ركع ثم سجد فقال سبحان ربي الأعلى فكان سجوده قريباً من قيامه "رواه مسلم (٧٧٢).

وكان الله جلّ في علاه قد أيد نبيه بفسح الوقت، فكان يبيت عند ربه يطعمه ويسقيه كان لا يحتاج إلى الكثير من الطعام والشراب، وكان يُكثر من الصيام وكان يواصل الصيام ويُكثر المناجاة وكان وهو يصلي يمد يده ويكاد أن يقطف من عنب الجنة ثم يتذكر أنه على الأرض، يتذكر أنه ليس في الآخرة، ما قامت القيامة بعد، كان الله يُري نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم الجنة والنار في القبلة، فالإمام البخاري استنبط من هذا جواز الصلاة أمام النار (لا بأس أن تصلي والمدفأه أمامك)؛ استنبط الإمام البخاري في صحيحه باب الصلاة أمام النار من حديث أن الله عرض الجنة والنار للنبي في قبلته وهو يصلي جواز الصلاة أمام النار .

هذا كان حال النبي صلى الله عليه وسلم.

الصحابة ومن بعدهم، ما كانوا مثله، لكنه صلى الله عليه وسلم كان قدوتهم، فبعضهم من الصحابة والتابعين ومن تبعهم إلى يوم الدين من يجهد ويُجاهد أن يلحق بالنبي صلى الله عليه وسلم.

فكان الصالحون من السلف الصالح يجدون في الشتاء مجالاً لأن ينالوا شيئاً مما ناله رسول الله صلى الله عليه وسلم من طول المناجاة وطول القيام مع وجود القوة في البدن، تبقى القوة في البدن ويأخذ الإنسان نصيبه من الراحة والنوم.

ولذا كانوا يعلمون أن الله ينشر رحمته في الشتاء، والله عز وجل يقول في سورة الشورى: (وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ)، (سورة الشورى ٢٨) .

مع الغيث تنشر الرحمة للبلاد والعباد؛ الرحمة التي يجتمع فيها الناس ويجعلون همهم مرضاة الله، ويجعلون همهم في عبادة الله عز وجل، فكانوا يحبون طول القيام ويتلذذون بطول القيام، ويجتمع ذلك لهم مع قوة الاستعداد وأخذ الإنسان نصيبه من الراحة والنوم، وكانوا يعتبرون رحمهم الله تعالى طول القيام في الليل كطول الصيام في النهار، طول القيام في الليل في الشتاء كطول الصيام في النهار في الصيف، كانوا يحبون طول القيام ويفرحون به لأنهم يحبون الله تعالى ويحبون الأنس به ويحبون الخلوة بحبيبيهم، فإذا حلّ الليل خلا كل حبيب بحبيبه، إذا جاء الليل خلا كل حبيب بحبيبه، وكان الله تعالى أحب شيء لقلوبهم، يحبون مناجاته.

لذا أثر عن جمع من السلف ومنهم معاذ وغيره أنهم كانوا في سكرات الموت ييكون، فلما يسألون لماذا تبكون؟

فكانوا يقولون: نبكي على الصيام في ظمأ الهواجر؛ لما نموت ينقطع الصيام في ظمأ الصيف، ونبكي على القيام في ليالي الشتاء، وعلى مزاحمة العلماء على الركب.

هذا هو أصل الخير عندهم.

ولذا ثبت عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، وورد عند الترمذي من حديث عامر ابن سعد مرفوعاً أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (العنينة الباردة، الصوم في الشتاء)، (صحيح الترمذي ٧٩٧)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع بحديث رقم

٣٨٦٨) حديث الترمذي مرسل عامر ابن مسعد لم يسمع من النبي صلى الله عليه وسلم اعتضد بقول أبي هريرة ؛ والعلماء يقولون: المرسل ضعفه يسير وإذا جاء شيء موقوف يعضده ويقويه، ولذا الشيخ الألباني وبعض أهل العلم يحسّن الحديث. وكيفما كان فكان هذا الأمر معروفا عندهم، (أن الصوم في الشتاء كان غنيمة)، والغنيمة أن تأخذ الشيء دون تعب أو نصب، أن تناله وتحوزه دون كبير تعب، وهذا الأمر كان معروفاً عندهم.

ولذا ورد في حديث أبي سعيد عند أحمد من طريق براج عن أبي سمح عن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (الشتاء ربيع المؤمن) زاد البيهقي في الشعب والسنن فقال: (الشتاء ربيع المؤمن طال ليله فقامه وقصر نهاره فصامه)؛ الربيع ترتع فيه الدواب وتسرح وتسمن وصاحبها لا يتعب ولا يتلكف شيء، فهذه الليالي في القيام، وهذا النهار في الصيام تأخذ بدون تعب وتسمن، لكن يسمن قلبك وتقوى علاقتك مع ربك، فتناجي مولاك وتعترف بضعفك، وتصبح في حالة تستطيع فيها أن تجمع بين قوتك وبين الصيام، الصيام في الشتاء لا تشعر به، هو غنيمة للمسلم، والقيام لا تشعر به، ولا سيما ان استحضرت كراهية السمر بعد العشاء.

واستغلال الليل أمر معروف عند السلف، كان الحسن البصري يقول: (نعم زمان المؤمن الشتاء، ليله طويل يقومه، ونهاره قصير يصومه).

فهذا الوقت نعم وقت المؤمن.

الوقت وما أدراك ما الوقت؟

أنت أيها الإنسان إن أردت أن نعرفك تعريفاً حضارياً، فأحسن تعريف للإنسان الحضاري نقول: الإنسان أيام، كما كان يقول الحسن البصري: (يا ابن آدم إنما أنت أيام فإذا مضى يوم ذهب بعضك، ويوشك إذا ذهب بعضك أن يذهب كلك).

علماء المنطق وعلماء الكلام يعرفون الإنسان بقولهم: الإنسان حيوان ناطق، وهذا شنيع وبشع وليس بحسن.

تعريف الحسن البصري يقول: (يا ابن آدم إنما أنت أيام فإذا مضى يوم مات بعضك) وكان يقول: (إني أدركت أقواماً، كان أحدهم أشح على عمره منه على درهمه)، ويقصد بقوله أقواماً: أي كبار التابعين وبعض الصحابة ممن سمع منهم.

وكان عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى يقول: (إن الليل والنهار يعملان فيك فاعمل أنت فيهما).

وأقول لأحبائي وأخواني دائماً إذا أردت أن تعرف عقل الرجل فانظر إلى صرفه لوقته كيف هو، فالذي يصرف وقته دون فائدة تعود عليه في دين أو دنيا فهو أحق لا يصاحب.

وإذا أردت أن تعرف دين الرجل فانظر إلى لسانه، ولا يغرك طول ركوعه وسجوده، أنظر هل يتق الله في الغيب من خلال لسانه.

ولذا قال الله تعالى (وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ) ، (سورة النساء ٥)، والشرع يجعل الحجر على السفه الذي يضيع المال، فإن الذي يضيع الوقت سفه ولا يصاحب، وهو أحق بالحجر ممن يضيع المال؛ لأن المال إن ذهب لعله يعود، وأما الوقت إن ذهب فأنا له أن يعود.

ولذا أهل الجنة في الجنة لا يتحسرون إلا على ساعة لا يذكرون الله تعالى فيها، والنبى يقول كما في الحديث عن معاذ بن جبل ((ما تزال قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عمره فيم أفناه؟ وعن شبابه فيما أبلاه؟ وعن ماله من أين اكتسبه؟ وفيم أنفقه؟ وعن علمه ماذا عمل فيه)). (حديث حسن لغيره، صحيح الألباني في صحيح الترغيب والترهيب ١٧٢٦).

فنصف الأسئلة شبابه وعمره، عن الوقت، ولذا ما أحوج الناس أن يعيدوا النظر في أوقاتهم، وأن يعيدوا النظر في الاستفادة من طول الوقت وقوة البدن والفراغ.

فقد ثبت في البخاري من حديث عبدالله بن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ). (رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب ما جاء في الصحة والفراغ، وأن لا عيش إلا عيش الآخرة ٥/ ١٣٥٧ (٦٠٤٩)).

الإنسان المشغول هو الذي يعرف قيمة الوقت، ولذا أكثر من يعرف قيمة الوقت العلماء، وأكثر من يعرف قيمة الوقت العباد، الذين يسرون حثيثا لله عز وجل، ويستعدون غايةً وبقوة إلى ملاقاته وإلى الدار الآخرة.

العلماء ضربوا لنا امثلةً عجيبة في الاستفادة من الوقت ، كان "جمال الدين القاسمي" وهو من وفيات القرن الرابع عشر هجري يمر في دمشق فيجد الناس في المقاهي فيقف ويقول: يا ليت الوقت يباع فاشتريه منهم.

"الإمام ابن الجوزي" رحمه الله كان واعظ الدنيا في بغداد، قال: نظرت في وقتي فوجدت وقتي معموراً إما في تصنيف، وإما في وعظ وتعليم، وإما في عبادة وذكر، قال: فنظرت فوجدت بعض البطالين من جيراني وأهلئوأصحابي وأقاربي يأتون فيضيع

الوقت، فنظرت فوجدت أن جزءاً من وقتي يذهب في قطع الورق وبري الأقلام، قال: فادخرت بري الأقلام وقطع الورق إلى مجيئهم، فكانوا إذا جاؤوا انشغلت بري الأقلام وقطع الأوراق.

يحرصون على الأوقات حرصاً شديداً.

فالسلف حالهم في الشتاء ولياليه الطويلة يستفيدون من هذا الوقت.

كيف يستفيد السلف من الوقت في الشتاء؟

بطول القيام.

يقتدون بالنبي صلى الله عليه وسلم، فكان النبي صلى الله عليه وسلم في أحواله كلها حاله مع الله تعالى هو هو، ولكن السلف الصالح ما خلّقوا بالاستعداد الذي خلق الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم عليه، فالله خلق النبي وسماه أحمد، ومحمد هو مجمع الخصال الحميدة، وأحمد هو الذي بلغ الغاية في كل خصلة من هذه الخصال، فكل الخلق سيدهم وقدوتهم إنما هو النبي صلى الله عليه وسلم، ما خلق الله أحداً بالاستعداد الذي خلق محمداً صلى الله عليه وسلم عليه، فكان العباد يجدون في طول ليالي الشتاء وقصر نهار الشتاء مجالاً بأن يجمعوا بين قوتهم وبين رغبتهم في قربهم ومسيرهم لربهم عز وجل.

ولم يكن هذا حال الصحابة فقط، كان هذا حال التابعين، أنظر معي مثلاً في ترجمه "أبي أدريس الخولاني" عبد الله ابن ثواب يذكر ابن عساكر في ترجمته رحمه الله كان يبيت يضع السوط يعلقه على الحائط، ثم ينام قليلاً ثم يستيقظ ثم يضرب قدميه

بالسوط وكان يقول: أريد أن يعلم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّنا نراحمهم على رسول الله، وأننا لن نتركه لهم، وإنما نسير مسيرهم.

عبد الله ابن ثواب حرق بيته وهو فيه فما مسّه النار، فأخبر عمر بذلك، فكان عمر يقول: الحمد لله الذي جعل في هذه الأمة مثل إبراهيم عليه السلام؛ فلما التقى به قال عمر لأبي ادريس الخولاني (وعمر ملهم): والله لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى لك لسرّ بك .

وليس هذا فقط حال أبو مسلم الخولاني، بل هذا حال الكثير من التابعين رحمهم الله تعالى كانوا مستعدين، كانوا مشمرين، كانوا يعلمون أنهم يموتون فكانوا يحرصون على أوقاتهم.

وهذا الموسم يجمعون فيه بين طول القيام وبين كثرة الصيام، وكيف لا، والصيام لا يعلم أجره إلا الله، ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف قال الله تعالى: إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به يدع شهوته وطعامه من أجلي للصائم فرحتان: فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ولخلاف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك والصيام جنة وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يصخب وإن سابه أحد أو قاتله فليقل إني امرؤ صائم). متفق عليه.

قال أهل العلم: الحسنة بعشرة أمثالها، هذه القاعدة المضطردة في العبادات، ثم النبي مباشرة قال قال الله تعالى، وهذا فيه جمع بين الحديث النبوي والحديث القدسي، قال كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي.

يستفاد من هذا أشياء مهمات:

١ . الأمر الأول أن الصوم لا يدخله رياء.

٢ . الأمر الثاني أن المقاصصة يوم القيامة تكون في عرصات يوم القيامة، حديث المفلس، (عن أبي هريرة: أتدرون ما المفلس؟

قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع . فقال: إنَّ المفلس من أمتي، يأتي يوم القيامة بصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ، ويأتي قد شتم

هذا، وقذف هذا، وأكل مالَ هذا، وسفك دمَ هذا، وضرب هذا . فيُعْطَى هذا من حسناته وهذا من حسناته . فإن فُنيَتْ

حسناته، قبل أن يقضي ما عليه، أخذ من خطاياهم فطُرحت عليه . ثمَّ طُرِحَ في النَّارِ). (رواه مسلم ٢٥٨١).

قال النبي صلى الله عليه وسلم: إلَّا الصوم.

فالعامل يبقى لصاحبه ولا يقتص منه، الصيام لا يقبل المقاصصة، الصيام لله يبقى له، ومهما فعل العبد فالصيام مقبول عند

الله عز وجل.

ثم تأمل معي الحسنة بعشرة أمثالها، قال مباشرة قال: قال الله تعالى كل عمل ابن آدم له إلَّا الصيام فإنه لي، هو الذي يجزيه،

ولا يعلم جزاء الصائم إلَّا هو سبحانه.

وحتى أقرب لك المعنى، مثلاً لو أنّ رجلاً كريماً وعنده من الأموال ما الله به عليم، وأعجب برجل يعمل عنده فقال للمحاسب الذي عنده: حاسب العمال إلا فلان أنا احاسبه، حسابه عندي، فكم كان كرمه وكم كان يملك يظهر عطاءه، والله المثل الأعلى.

فالصوم لا يعرف أجره مَلَكٌ أو نبي، لا يعرف أجره إلا الله، ولذا من الأشياء القليلة التي بُنيت في فضل الصوم: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما من عبد يصوم يوماً في سبيل الله إلا باعد الله بذلك اليوم وجهه عن النار سبعين خريفاً). متفق عليه.

صيام يوم تباعد عن النار سبعين خريفاً، واليوم والله في الشتاء إذا تأخر نومك قليلاً فنسيت الإفطار وشغلت لا تلحق أن تأكل على الغداء شيئاً إلا وقد قرب المغرب، فاجعله صيام، (الصيام في الشتاء الغنيمة الباردة)، كان أبو هريرة رضي الله عنه يقول هذا، وكان "عبيد ابن عمير" إذا جاء الشتاء يقول: (يا أهل القرآن طال ليلكم فقوموه وقصّر نهاركم فصوموه)، قال فقوموا وصوموا، وأهل القرآن هم أهل الهمم، كان الإنسان إذا عُرف بحفظه عُرف بفقهه وعُرف بحسن صنيعه وفعله، ما كان عندهم الإزدواجية الموجودة اليوم، ولذا يؤمُّ الناس أقرأهم، لأنه أفقههم، فكان الذي يقبل على القرآن هو مقبل على الآخرة.

فالواحد إذا أحسن الاستفادة من وقته بعامة، ومن الشتاء بخاصة قُرْب من الجنة، وقُرْب من رحمة الله وابتعد عن النيران.

نَعَمْ القيام يشق على النفس، فيه ترك الوفير من الفراش، وفي استخدام الماء البارد ما يقلق ويزعج النفس في البرد، لكن مع هذا بين لنا النبي صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى . يا رسول الله ! قال إسباغُ الوضوء على المكاره . وكثرةُ الخطا إلى المساجد . وانتظارُ الصلاة بعد الصلاة . فذلكم الرباطُ . وليس في حديثِ شعبةٍ ذكر الرباطِ . وفي حديث مالكٍ ثنتينِ فذلكم الرباطُ . فذلكم الرباطُ .) (صحيح مسلم ٢٥١) .

ما يمحو به الخطايا ويرفع الدرجات: إسباغ الوضوء على المكاره.

ما معنى إسباغ الوضوء على المكاره؟

تتوضأ وتحسن الوضوء، وتقبل بقلبك ووجهك عليه، وتغسل أعضاء الوضوء، ونفسك تكره ذلك بسبب البرد في الشتاء.

قال: وكثرة الخطى للمساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، -كحالنا الآن صلينا المغرب وجلسنا نتفق في دين الله وننتظر الصلاة-.

قال: فذلكم الرباط ذلكم الرباط.

فهذا من أسباب محو الخطايا، ومن أسباب رفع الدرجات عند الله عز وجل.

ولذا ثبت في حديث اختصام الملاء الأعلى، والحديث أفردته الإمام ابن رجب في جزء مفرد، شرحه شرحاً رائعاً.

وفي الحديث يقول النبي صلى الله عليه وسلم: (رأيتُ ربي أي في المنام، فقال لي يا محمد أتعلم فيما يختصم الملائة الأعلى، فقال النبي عليه السلام في الدرجات والكفارات) ، يختصمون في الدرجات والكفارات، وذكر الكفارات فقال: اسباغ الوضوء على الكريهات، تسبغ الوضوء على المكاره كما في الحديث السابق، ونقل الخطى إلى الجماعات وانتظار الصلاة بعد الصلاة. الملائكة تختصم كيف تكتب الأجر في هذه الأعمال، فإذا كان القيام وكثرة الوضوء يقلقك ويزعجك فاحتسب.

وهنا مسألة مهمة يجب أن نفهمها فهماً شريعياً صحيحاً، فكثير من الناس للأسف يفهمونها فهماً خاطئاً ، ولا يفهمون القاعدة التي تقول: (الأجر على قدر المشقة)، الأجر على قدر المشقة التي لا تنفك عنها العبادة؛ أما أن يُدخل المكلف على نفسه مشقة متعمدة وهو يستطيع أن يستغني عنها ، فهذا الإدخال ليس من دين الله في شيء.

نذر أبو إسرائيل صحابي جليل، والقصة المذكورة في صحيح البخاري، أن يقوم ولا يقعد، وأن يبقى في الظل، أي لا يستظل، فزجره النبي وقال: إنَّ الله غني عن عملك هذا.

وفي حديث أنس المتفق عليه في البخاري ومسلم قال : (جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ، يسألون عن عبادة النبي ، فلما أخبروا كأنهم تقالوها وقالوا : أين نحن من النبي قد غفر له تقدم من ذنبه وما تأخر؟! قال أحدهم : أما أنا فاصلي الليل أبداً ، وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال الآخر : وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً ، فجاء رسول الله إليهم فقال : (أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟! أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني). (متفق عليه ١٧٠).

يعني أنا لا أنام ولا أفطر ولا انكح النساء، لأن الله قد غفر لي ما تقدم لي من ذنبي وإنما هذا من باب التقوى.

ولذا الصحابة والتابعون والصالحون يفرحون في الشتاء لتحقيق العبادات فيه مع عدم وجود مشقة، فإدخال المشقة على النفس من وجه التعمد فهذا ليس من هدي النبي صلى الله عليه وسلم.

فلقد ثبت في صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: «مَا خَيْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَأْتُمْ، فَإِذَا كَانَ الْإِثْمُ كَانَ أَبْعَدَهُمَا مِنْهُ، وَاللَّهُ مَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ يُؤْتَى إِلَيْهِ قَطُّ، حَتَّى تُنْتَهَكَ حُرْمَاتُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمُ اللَّهُ». صحيح مسلم - الإيمان (١٠٨).

يعني إنسان لا يستطيع أن يقوم إلا ويستخدم الماء البارد فله أجر أكثر من أجر الذي يستخدم الماء الحار. إنسان أمامه ماء بارد وماء حار، فترك الماء الحار ليدخل المشقة على نفسه بالماء البارد بالوضوء أو الاغتسال، ترك الماء الحار ليس من دين الله في شيء، ولا يجوز أن تتعبد الله بهذا، لكن إذا كنت لا تستطيع إسقاط الجنابة إلا بالماء البارد فلك أجر.

أن تتقصد إدخال المشقة على نفسك وأنت تستطيع ألا تتحمل هذه المشقة هذا أمر ليس داخلا تحت الأجر على قدر المشقة، الأجر على قدر المشقة إذا كانت هذه المشقة لازمة، لا تستطيع أن تنفك عنها، لذا النبي عليه السلام لما حج لم يحج ماشياً حج راكباً، بل طاف النبي صلى الله عليه وسلم حول الكعبة راكباً، بل رمى الجمار راكباً، فما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتقصد أن يدخل المشقة على نفسه، لكن إنسان مكّي أو لا يستطيع أن يحج إلا بالمشي فنقول لهذا الإنسان الأجر على قدر المشقة، أما أن تترك الركوب وتتعبد الله بالمشقة لذات المشقة فهذا ليس من دين الله عز وجل في شيء.

لذا الرغبة التي كانت موجودة عن السلف الصالح في موضوع الشتاء إنما كانت للجمع بين الأمرين .

قد يقول قائل: ألم يكن عمل رسول الله ديمة؟

كان عمل رسول الله ديمة.

تقول عائشة رضي الله عنها كما في صحيح مسلم: (كان رسولُ الله ﷺ إذا عمل عملاً أثبته). صحيح مسلم (٧٤٦).

بقي عليه إلى يوم الدين، فكان يعبد الله تعالى بفقهِه، وكان الصحابة يتعلمون منه، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول كما

ثبت في الصحيحين عن عائشة أم المؤمنين: (سَدُّوا وقارِبوا، واعلموا أَنَّهُ لَنْ يُدْخَلَ أَحَدُكُمْ عملُهُ الجنةَ، وَأَنَّ أَحَبَّ

الأعمالِ أدومُها إلى الله وإن قلَّ). البخاري (٢٥٦ هـ)، صحيح البخاري ٦٤٦٤ • [صحيح] • أخرجه البخاري (٦٤٦٤)

واللفظ له، ومسلم (٢٨١٨) •

وكان الواحد من السلف يفحص استعداده قبل البدء في العمل، فإن وجد عنده همة ونهمة بأن يبقى على هذا العمل بقي عليه

ثم مع تقدم السن يزيد عملاً آخرًا ثم يزيد عملاً ثالثاً فتكون أحواله مع ربه خيرها يوم لقاءه.

كيف كان يفرح السلف بالشتاء؟

كانوا يشبتون عليها في الشتاء، كانوا يَمِدُّون ويزيدون، ولذا ثبت في صحيح مسلم أن عمر هو أول من مد القراءة في صلاة

الفجر، فإن الصحابة والتابعين هم أول من مدّ وكثر الطاعات في الشتاء، وكانوا يشبتون عليها، لكن قطعاً لم يكن استعدادهم

الفطري (السجّية) التي عندهم لم تكن كما كانت عند رسول الله لا في صيام ولا في قيام، فلحقوا وقاربوا هدي النبي صلى الله عليه وسلم في الشتاء في طول القيام وفي كثرة الصيام، ومن حام حول الشيء فهو بإذن الله تعالى كمن صنعه (سدّدوا وقاربوا واعلموا أن أحدا لن يدخل الجنة بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله، قال: ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل)، سدّد، إن كنت لا تستطيع إدخال الهدف حُم حول الهدف، سدّد وقارب حول الهدف، قارب حول الهدف، ولذا كانوا رضي الله عنهم يفرحون بالشتاء.

الرسول صلى الله عليه وسلم من فرحه كما ثبت في الصحيح عن أنس كان أول ما ينزل المطر يُعرّض له بدنه ويكشف عن رأسه خارج الصحيح، في الصحيح كان يعرّض بدنه للمطر في خارج الصحيح كان يكشف رأسه، يتبرك بالمطر عند أول النزول، وكان صلى الله عليه وسلم يقول: (إنه حديث عهد بربه) المطر حديث عهد بالله عز وجل ، فكان صلى الله عليه وسلم يُعرّض نفسه لهذا المطر.

[عن أنس بن مالك:] قال: أصابنا ونحن مع رسول الله ﷺ -مطر، فخرج رسول الله ﷺ فحسّر ثوبه عنه حتى أصابه، فقلنا: يا رسول الله، لم صنعت هذا؟ قال: لأنه حديث عهد بربه. الألباني (١٤٢٠ هـ)، صحيح أبي داود ٥١٠٠ • صحيح • أخرجه مسلم (٨٩٨) باختلاف يسير، وأبو داود (٥١٠٠) واللفظ له •

وكانوا يستفيدون من طول الليل.

بعض المحدثين وضع قاعدة مهمة وهي أصل معروف عند العلماء في باب المفاضلات.

أنا أسألك سؤالاً، أيهما أحسن تزور المريض في النهار أم في الليل؟

في المفاضلات الصواب في التفضيل التفصيل، وهذا يحل الإشكال.

أيهما أفضل أن تقول: لا إله إلا الله أم استغفر الله؟

قالوا: التكبير والتهليل والتحميد والتسبيح طيب الطائعين، والاستغفار صابون العصاة، فالعاصي الاستغفار أفضل في حقه، والطائع الطيب أفضل في حقه.

أنظر إلى حالك إذا كنت كثير الخطايا فالاستغفار أفضل، وإذا كنت قليل الخطايا التكبير والتهليل والتسبيح والتحميد أفضل.

قالوا: أيهما أفضل: القيام أم السجود، أيهما أقرب إلى الله؟

التفصيل؛ ذكر القيام خير من ذكر السجود، وهيئة السجود خير من هيئة القيام فالسجود لا يصح إلا لله عز وجل، ولكن ذكر القيام أفضل من ذكر السجود وهيئة السجود أفضل من القيام.

أيهما أفضل البيت البعيد من المسجد أم القريب من المسجد؟

التفصيل.

قالوا: المشي من البيت البعيد أفضل، والسكنة في البيت القريب أفضل.

أيهما أفضل خديجة أم عائشة ؟

(وهذه فيها معارك بين السنة والشيعة)؟

التفصيل .

بالنسبة لنشر العلم والفقہ عائشة رضي الله عنها أفضل ، فقد تأخر وقتها ، ومات النبي صلى الله عليه وسلم وقد كان عمر أمنا

عائشة (١٨) عام في أوج شبابها رضي الله عنها ، وفي تثبيت الرسول ومواساته خديجة أفضل .

هذا التفصيل هو كلام أهل السنة .

أيهما أفضل تزور المريض في النهار أم في الليل ؟

في الصيف الأفضل تزوره في النهار ، وفي الشتاء الأفضل تزوره في الليل .

لماذا ؟

لأنه ثبت من حديث علي لما زار عبد الله بن قيس أبو موسى الأشعري رضي الله عنه الحسن بن علي لما مرض والقصة ثابتة في

فضائل أحمد ومصنف ابن أبي شيبة ومصنف عبد الرزاق قال : ما الذي أتى بك ؟

قال : بلغني أن ولدك الحسن مرض .

فقال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من عاد مريضاً بكرةً، أي بكرة، أي في النهار شيعه سبعون ألف ملك حتى يمسي، كلهم يدعوا له، ومن عاد مريضاً في المساء شيعه سبعون ألف مالك حتى يصبح كلهم يدعوا له).

بعض المحدثين كان يعلم طلبته إذا أردت أن تزور مريض في الشتاء فزره بعد المغرب، لأن الليل أطول، كلهم يدعوا لك، سبعون ألف ملك، في فرق (٣-٤) ساعات، في الليل أطول، وفي الصيف أن تزوره في النهار أفضل.

انظروا إلى فقههم وأحوالهم، وكان ذلك ينعكس حتى على عياده المريض.

ومن حرصهم أيضاً مواساتهم لنسائهم، ابن أبي شيبة في المصنف لما ذكر في أحوال السلف ونقل ذلك عن جمع، نقل ذلك عن أبي الدرداء وعن عمر، وعن ولده عبد الله، وعن عبد الله بن مسعود وغيرهم كان الواحد منهم يستدفع بزوجه، حتى هذا الاستدفاء في الشتاء، يدخل شيئاً من أنس، وشيئاً من قرب القلوب، قرب الأبدان يسبب قرب القلوب، وفي هذا إشارة واضحة إلى أن الإنسان من السنة أن يبيت مع زوجه في فراش واحد، وثبت في صحيح السنة أن فاطمة دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم وكان هو وعائشة تحت غطاء واحد، وثبت عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قولها: فقدتُ النبي ﷺ ذات ليلة فجعلتُ أطلبه بيدي فوقعت يدي على قدميه وهما منصوبتان وهو ساجدٌ يقولُ أعوذُ برضاكَ من سخطِكَ وبمعافاتِكَ من عقوبتِكَ وأعوذُ بك منك لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك). الألباني (١٤٢٠ هـ)، صحيح النسائي ١٦٩ • صحيح • أخرجه مسلم (٤٨٦)، وأبو داود (٨٧٩)، والترمذي (٣٤٩٣)، والنسائي (١٦٩) واللفظ له، وابن ماجه (٣٨٤١)، وأحمد (٢٥٦٥٥).

هذا كان حال النبي صلى الله عليه وسلم، فكان يبيت معها.

من لطيف ما سمعت من الأخبار بنت طالبة علم من أهل الحديث جاء رجل ليخطبها وكان طالب علم، فأرادت أن تمتحنه،

فسألته أين الله؟

أين الله؟

الله في السماء، ومعنى في السماء أي على السماء، قال تعالى: (وَلَا صَلَّيْنَكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ)، (سورة طه) ٧٢. ما معنى

وَلَا صَلَّيْنَكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ؟

الجواب: على جذوع النخل.

(ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء)، سنن أبي داود - الأدب (٤٩٤١)، أي ارحموا من على الأرض يرحمكم من

على السماء.

إياك أن تقول: أن الله في كل مكان.

الله عليّ على خلقه.

لذا قال الإمام الذهبي في الحديث الذي ذكرته أنفأ وهو في صحيح مسلم حديث أنس لما كان النبي يُعرّض نفسه للمطر كان

يقول إنه حديث عهد بربه وفي هذا دليل على علو الله عن خلقه.

إمام الأئمة أبو بكر بن خزيمة يقول: من زعم أن الله في كل مكان فهو أكفر من اليهود والنصارى، وحكمي عليه إن مات أن يُرمى في مزابل المسلمين، الله في كل مكان بعلمه وسمعه وبصره، أما ذاته لا، نحن نكفر النصارى حين قالوا: أن الله قد حلّ في عيسى عليه السلام، ونكفر النصيرية الشيعة الذين قالوا: أن الله قد حلّ في علي، النصيرية لعنهم الله يترضون على قاتل علي.

قالوا: لم؟

قالوا: لأنه فصل اللاهوت عن الناسوت، فيقولون عن قاتل علي ابن ملجم رضي الله عنه، قال لما قتله فصل الله عنه، لأنه فصل اللاهوت عن الناسوت، فالله عز وجل عليّ على خلقه.

فهذا طالب العلم من أهل الحديث تسأله خطيبته (أراد أن يطلبها وأرادت أن تعرف حسن معتقده)، قالت: أريد أن أعرف أين الله وما الدليل؟

كان من أهل العلم فقال: الله في السماء، والدليل على ذلك ما ثبت في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح))، أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم: آمين والملائكة في السماء: آمين فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه، (١١٦/٤)، برقم: (٣٢٣٧)، ومسلم، كتاب النكاح، باب تحريم امتناعها من فراش زوجها، (١٠٥٩/٢)، برقم: (١٤٣٦).
حديث مناسب للمناسبة، هذا كلام النبي صلى الله عليه وسلم ورد في صحيح مسلم.

فالشاهد أنهم في الشتاء كانوا يستثمرونه في الخير، وكانوا يزدون في تقربهم من الله عز وجل، وكانوا يفرحون بلياليه، ولهم في ذلك أسوة حسنة، وهو الرسول صلى الله عليه وسلم.

يقول الإمام ابن القيم: كان إذا دخل الليل استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم في آخره، وكان يكتحل ويمتشط، ويجعل شعره ذؤببتين ويتطيب، ويقف طويلاً يناجي ربه ومولاه.

وإذا أردت أن تخشع في الصلاة تذكر أنك سوف تموت وتلاقيه، فالذي يتذكر الموت حينئذ يخشع قلبه، إذا قرأت القرآن فتذكر أن الله يخاطبك، وإذا وقفت بين يديه فتذكر أنك تخاطبه، وأنت تناجيه، فهذا من أحسن الأحوال التي تعين العبد على أن يبقى قلبه حاضراً، وأن لا يشعر بالغفلة.

ومن فرحهم الشديد كانوا إذا صلوا العشاء ما سمروا.

ما الفرق بين السمر والسهر؟

السمر مع غيرك، والسهر مع نفسك؛ تسامر غيرك هذا سمر، وأما أن تخلو بنفسك في الليل فهذا سهر.

ثبت في الصحيحين (عن أبي بَرزَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَكْرَهُ النَّوْمَ قَبْلَ الْعِشَاءِ ، وَالْحَدِيثَ بَعْدَهَا) رواه البخاري (٥٦٨) ومسلم (٦٤٧)، يعني إذا أذن العشاء في كراهة أن تتكلم.

من جَمَعَ همّه على الله بدد بذلك كل الهموم، ومن لم يجمع همّه على الله بقيت الهموم تركبه، من جمع همّه على الله لا يشعر بهم، ومن لم يجمع همّه على الله لا تدري في أي وادي هَلَكَ، تهلك في أودية وشعاب، دنيا لها أول ما لها آخر.

فكان حال السلف والاستفادة من الوقت في الصيف والشتاء سيان، ولكن كان أكثر ما يظهر بركته في الشتاء.

في الصيف تكاد تنام حتى تستيقظ لصلاة الفجر، خصوصاً إذا أردت أن تجلس بعد الفجر إلى طلوع الشمس، في الشتاء تجلس مع القرآن أو مع العلم (٦-٧) ساعات موصولات، أنا أقول عنها: لحم بدون عظام، لحم مجرّم خالص، بركة خالصة.

لكن تذكّر أن النبي كما ثبت في الصحيحين عن أبي برزة رضي الله عنه كره الحديث بعدها، يعني صلي العشاء وروح لا تتكلم مع أحد مباشرة، إذا حل الليل خلا كل حبيب بحبيبه، أنظر من تحب واخلو بحبيبك، فالعاقل ينبغي أن يكون حبيبه الله، وينبغي أن يكون حبه فوق كل حب، أنظر إلى أسباب حبك، من تحب؟

لو سألنا أي إنسان ما هي معايير الحب عندك؟

فبعضهم يقول: أنا أحب الإنسان الكامل الصادق البعيد عن النقص، وما من إنسان إلا وعنده نقص.

فالله عز وجل هو المتصف بأقواله وأفعاله واسمائه وذاته بصفات الجلال والجمال والكمال.

وبعض الناس يقول: أنا أحب من يُحسن لي، طماع، معياره في الحب الطمع، من يحسن لي أحبه، وما من أحد أحسن إليك كما أحسن الله إليك.

بعض الناس رومانسي.

تسأله من أكثر من تحب؟

يقول: أنا أحب الجمال، أنا رومانسي، وعندني مشاعر وأحب الجمال.

لذا قال لنا النبي صلى الله عليه وسلم: أن الله جميل يحب الجمال.

فأي معيار من المعايير جعلته مقياساً للحب فينبغي للعبد أن يكون الله تعالى أحب إليه مما سواه، وينبغي أن يكون كل حب إنما هو نابع من حبه سبحانه.

فزوجتي أحبها لأن الله أذن لي أن اجتمع معها، وولدي أحبه لأن الله أمرني أن ارعاه، وأن أنفق عليه وهكذا دواليك، فيكون حبي مرده إلى حب الله عز وجل وكل ما أحب في هذه الدنيا مرده إلى الله.

والله ما بقي لنا من شيء يا أخوة من كبير عمل صالح إلا الحب.

ولذا من أكثر الأحاديث التي افرحت أصحاب رسول صلى الله عليه وسلم ما رواه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، كيف تقول في رجل أحب قوماً ولم يلحق بهم؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (المرء مع من أحب)."

يقول عبد الله بن مسعود: والذي نفسي بيده لو أن أحدكم عبد الله أربعين سنة بين الركن والمقام ما حشر إلا مع من أحب.

ولذا النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث أبي برزة كره الحديث بعد العشاء.

وثبت أيضا عن الطيالسي وأحمد من حديث ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا سمر بعد العشاء إلا لمصلٍ أو مسافر) ، ما في سمر بعد العشاء إلا لمصلٍ عابد، السمر في العلم لا حرج فيه، يعني لو حضرت درس لا حرج، واليوم كل علماء الدنيا بين يديك، الآن تستطيع مع وسائل الاتصالات هذه أن تسمع لمن شئت، فالعلم من الطاعات الجليلة، فالسمر مع الزوجة وفي الصلاة وفي طلب العلم، وفي السفر لقطع الطريق فهذا أمر مشروع، وما عدا ذلك فهو ممنوع، فالسمر بعد العشاء مكروه إلا إن كان لمرغوب أو مطلوب.

يقول ابن خزيمة في صحيحه أن كراهية السمر بعد العشاء لأن ذلك يثبط عن قيام الليل، لأنه إذا اشتغل في أول الليل بالسمر ثقل عليه النوم فلا يستطيع أن يقوم، وإذا استيقظ فإن استيقاظه لا ينشطه للقيام.

اختتم لأنبه على أمر مهم وهو معنى من معاني كراهية السمر، والناس اليوم في الشتاء ما أكثر سمرهم؟

قالوا: من صلى العشاء كفرت ذنوبه، والإنسان يموت بالنوم موتاً بإرادته وسيموت شاء أم أبى (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ)، سورة آل عمران (١٨٥).

وقالوا: من أسباب حسن الختام للعبد أن يختم أمره بإرادته بأن ينام بعد الوتر ولا يتكلم، أن يكون آخر يومه صلاة، فكانوا يكرهون الكلام بعد صلاة الوتر.

يقول ابن عيينة: تكلمت بشئ بعد صلاة الآخرة، (صلاة العشاء)، فقلت ينبغي ألا انام على هذا، قال قمت فتوضأت واستغفرت وصليت ركعتين، قال: لا أقول ذلك لأزكي نفسي، ولكن ليعمل به بعضكم.

وكان خيشمة يقول: كانوا يجبون إذا أوتروا أن يناموا.

قال القاسم ابن أبي أيوب، قال: كان سعيد بن جبير يصلي بعد عشاء الآخرة أربع ركعات فأتكلم معه ولا يتكلم.

يعني إذا اوترت ما تتكلم مع أحد، ليكن آخر كل يوم من أيامك صلاة، فحيثئذ الله جل في علاه بإذن الله تعالى يُحسن ختامك.

تدرون ماذا كان يقول يحيى بن معين حتى تفهمون الحرص على الوقت، وعدم الانشغال بتضييع الوقت وبفضول الكلام،

وما أكثر الموبقات اليوم عند الناس، بل بعضهم قد يرتكب الكبائر من الكذب والغيبة والنميمة والخوض، ومن صفات

أهل النار (وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ)، (سورة المدثر ٤٥)، الناس اليوم يتكلمون في كل شيء بعلم وبغير علم وبجهل،

وليس هذا من صفات المؤمنين، قال تعالى: قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢) وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ

مُعْرِضُونَ (٣)، (سورة المؤمنة ١-٣)، إذا أردت أن تخشع في صلاتك، اعرض عن اللغو.

كان يحيى بن معين يقول لأن أزي أحب إلي أن أسمر بباطل بعد العشاء.

السمر بالباطل يميت القلب.

فهذه ليالي الشتاء أيها الأحبة احرصوا عليها، وليكن بينكم وبين الله معموراً.

أنا في عملي العلمي من فضل الله علي أعمل في الشتاء أقل شيء ثلاثة أضعاف عملي في الصيف، وأجد بركة في الوقت لا يعلم بها إلا الله .

فارجوا الله جل في علاه أن يبارك في أوقاتنا وفي أموالنا وفي أهالينا وأبنائنا وقواتنا وأن يجعل ذلك الوارث منا وأن يجعلنا مباركين أينما كنا وأينما حللنا.

تدري كيف تكون مباركاً أينما حللت؟

احفظ دين الله، كن حارساً على الفضيلة، كن حارساً على الأخلاق، كن حارساً على شرع الله، كن أماراً بالمعروف، كن ناهياً عن المنكر، الإنسان المبارك أينما جلس يأمر وينهى وينصح ويذكر الناس.

أسأل الله جل في علاه أن يجعل مجلسنا هذا في صحيفه أعمالنا، وأن يجعله من أسباب التواصي بالحق والتواصي بالصبر، وأن يجعله من أسباب النجاة عند الله، وأن يرتب عليه ثمرة وبركه باقية دائمة إلى يوم الدين وفي حياتنا جميعاً.

هذا وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

للتواصل بامكانكم متابعتنا من خلال :

١ - الموقع الرسمي للشيخ مشهور بن حسن آل سلمان (ييث من خلاله الدروس)

<http://meshhoor.com/>

٢ - صفحتنا على الفيس بوك :

<https://www.facebook.com/meshhoor/>

٣ - قناتنا على التيلغرام :

<http://t.me/meshhoor>

٤ - الواتس آب (تفريغ+وصوت)

(00 962 776 757052)